المحاضرة الثامنة-المناهج الفرعية-

المنهج الوصفي

المراجع:

- صالح طليس المنهجية في دراسة القانون، منشورات زين الحقوقية، لبنان، 2010.
- كريمة عبد الرحيم الطائي، أحمد محمد المومني، مصطفى عبد العزيز الطراونة، منهجية البحث العلمي في الشريعة والقانون، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان 2014.
- رشيد شميشم، مناهج العلوم القانونية، دار الخلدونية، الجزائر، 2006.
- فتيحة حزام، فلسفة ومناهج العلوم القانونية، المركز الأكاديمي للنشر الإسكندرية، 2019.

تصميم المحاضرة:

الفرع الأول: الإطار التأصيلي للمنهج الوصفي

أولا: تعريف المنهج الوصفي

ثانيا: أهداف المنهج الوصفي وخطواته

1- أهداف المنهج الوصفي
2- خطوات المنهج الوصفي

الفرع الثاني: تطبيق أنواع الدراسات الوصفية في العلوم القانونية

أولا: منهج الدراسات المسحية

1- المسح المدرسي
2- الدراسات المسحية للرأي العام
3- المسح الاجتماعي

ثانيا: منهج دراسة الحالة

1-تعريف منهج دراسة الحالة

2-خطوات منهج دراسة الحالة

3-استخدام منهج دراسة الحالة في العلوم القانونية.

مقدمة:

نشأ منهج البحث الوصفي عند الغرب في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي. وقد ارتبطت نشأته بعمليات المسح الاجتماعي وبالدراسات المبكرة في فرنسا وانجلترا، وكذلك بالدراسات الأنثروبولوجية في الولايات المتحدة.

وتطور في القرن التاسع عشر، من خلال الدراسات الاجتماعية التي قام بها فريدريك لوبلي (1806-188) بإجراء دراسات تصف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة في فرنسا، لكن التطور الهام في المنهج الوصفي كان في القرن العشرين.

فما هو المنهج الوصفي وكيفية تطبيقه في العلوم القانونية؟

الفرع الأول: الإطار التأصيلي للمنهج الوصفي

أولا: تعريف المنهج الوصفي

الوصف لغة هو نقل صورة العالم الخارجي أو الداخلي من خلال الألفاظ.

أما الوصف العلمي فيذكر خصائص ما هو كائن، ويفسره ويحدد الظروف والعلاقات التي تكون بين الوقائع، وكذلك الممارسات الشائعة، والمعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات، فالوصف رصد حال أي شيء سواء كان وصفا فيزيائيا، أو بيان خصائص مادية ومعنوية لأفراد الجماعات.

فالمنهج الوصفي يعتمد على التركيز الدقيق على الوصف، حيث ظاهرة معينة استنادا الى وضع حالي (بخلاف المنهج التاريخي الذي يدرس ظاهرة معينة حدثت في الماضي)

من خلال ذلك يطرح الباحث مجموعة من الأسئلة:

- ما هو الوضح الحالي لهذه الظاهرة ؟
- ما هي العلاقات بين الظاهرة المحددة و الظواهر الأخرى ؟
- ما هي النتائج المتوقعة لدراسة هذه الظاهرة ؟

وتكون الاجابة على هذه الأسئلة من خلال القيام بعملية جمع الحقائق والبيانات الكمية والكيفية عن الظاهرة المدروسة مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا. إذا يمكن القول إن المنهج الوصفي هو تلك الطريقة العلمية التي يعتمدها الباحث في دراسته لظاهرة معينة في وضعها الحالي وفق خطوات محددة. يقوم الباحث خلالها بتحليل للمعطيات والبيانات التي بحوزته من أجل الوصول الى الحقيقة العلمية للظاهرة.

ثانيا: أهداف المنهج الوصفي وخطواته

1-أهداف المنهج الوصفي

- جمع معلومات دقيقة حقيقية ومفصلة لظاهرة موجودة فعلا (في الوضع الراهن = آنية) في مجتمع معين.
- تحديد المشاكل الموجودة أو توضيح بعض اللظواهر .
- اجراء مقارنة وتقييم لبعض الظواهر.
- تحديد ما يفعله الأفراد في مشكلة ما والاستفادة من آرائهم وخبراتهم، وفي وضع تصور، خطط مستقبلية واتخاذ قرارات مناسبة في مشاكل ذات طبيعة مشابهة.
- ايجاد العلاقة بين الظواهر المختلفة

وبناء على ما سلف فالهدف من تنظيم المعلومات وتصنيفها هو مساعدة الباحث على الوصول الى استنتاجات وتعميمات تساعدنا في تطوير الواقع الذي ندرسه.

فالأسلوب الوصفي لا يهدف الى التحليل بقدر ما يهدف الى وصف الظواهر أو وصف الواقع كما هو، للوصول الى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع وتطويره وايجاد العلاج لأمراضه ومشاكله. فيرى الكثير من المهتمين بمناهج البحث أن البحوث الوصفية تتركز على خمس أسس تتمثل في:

أ- امكانية الاستعانة بمختلف الأدوات المستخدمة للحصول البيانات (كالمقابلة و الملاحظة و استمارة البحث و تحليل الوثائق و التسجيلات)

ب- نظرا لكون الدراسات الوصفية تهدف الى وصف وتحديد خصائص الظواهر متفرقة، فلا بد ن يكون هنالك اختلاف في مستوى عمق تلك الدراسات.

بمعنى أن يكتفي بعضها بمجرد وصف الظاهرة محل البحث كما وكيفا بغير دراسة الأسباب التي أدت الى ما هو حادث فعلا (مثل الطفولة المعنفة).

ج-لا بد من اصطناع التجريد خلال البحوث الوصفية حتى يمكن تميز خصائص أو سمات الظاهرة محل البحث وخاصة في مجال العلوم الاجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد الشديدين. مثل دراسة ظاهرة الطلاق و العنوسة ...

د- كما كان التعميم مطلبا أساسيا للدراسات الوصفية ذلك حتى يمكن من خلاله استخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة محل البحث . فكان لا بد من تصنيف الأشياء أو الوقائع والكائنات أو الظواهر محل الدراسة على أساس معيار مميز، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لاستخلاص النتائج ومن ثم العمل على تعميمها.

2- خطوات المنهج الوصفي

- تحديد الظاهرة محل الدراسة والبحث.
- القيام بجمع المعلومات المتعلقة بالظاهرة المراد دراستها
- وضع الفرضيات
- اختيار عينة الدراسة
- القيام باختيار أدوات البحث التي سيستعملها الباحث في دراسته (المقابلة، الاستبيان ....)
- الوصول الى النتائج
- القيام بتحليل النتائج، وتفسيرها، والوصول الى تعميمات.

الفرع الثاني: أنواع الدراسات الوصفية وتطبيقها في العلوم القانونية

يعد المنهج الوصفي من أكثر وأهم مناهج البحث الاجتماعي ملاءمة لدراسات الواقع الاجتماعي، وهو يشكل الخطوة الأولى نحو تحقيق الفهم الصحيح لهذا الواقع اذ يمكننا من الاحاطة بكل أبعاد هذا الواقع. فنصف ونتصور بدقة كافة ظواهره وسماته.

لذلك فهو يشمل على عدد من المناهج الفرعية والأساليب المساعدة، كأن يعتمد على دراسة الحالة أو الدراسات المسيحية وهذا ما سنأتي على تبيانه.

أولا: منهج الدراسات المسحية

يعتبر منهج المسح من أكثر المناهج استعمالا في البحوث الوصفية ويهدف إلى

1- وصف الظاهرة المدروسة وتشخيصها وتحليلها وجمع بيانات حولها وتقرير حالتها كما هي في الوقت الراهن، وفي هذا المجال فان الدراسة المسحية تتعلق بالوقت الذي يجري فيه البحث ولا تتعلق بماض الظاهرة ولا بمستقبلها.
2- يقوم الباحث بتقديم المعايير المحددة التي يجب أن تكون الظاهرة وفقها.
3- من خلال دراسة الواقع يقوم الباحث بإسقاط ما هو موجود فعلا في المجتمع مع ما ينبغي أن يكون عليه الحال وفق معايير محددة (أي مقارنة الواقع مع معايير محددة)

يقوم الباحث بتقديم اقتراحات وأساليب من أجل الوصول الى ما ينبغي أن تكون عليه الظاهرة استنادا الى المعايير المحددة.

يصل الباحث في الأخير الى استخلاص النتائج التي يمكن تطبيقها على منهج الدراسة كله .

ان الدراسات المسحية تعتمد كثيرا على أدوات البحث العلمي التي لا يمكنها أن تغفل ذلك، بل إن هذه الأدوات هي محور هذه الدراسة ومثال ذلك المقابلات التي يجربها الباحث مع العينة التي يختارها وكذلك قيامه بعملية الاستبيان ...الخ.

ان الدراسات المسحية أنواع كثيرة منها المسح المدرسي – الدراسة المسحية للرأي العام – المسح الاجتماعي .

1-المسح المدرسي

ويتعلق هذا المسح بدراسة قطاع مهنة التعليم حيث يقوم الباحث بتسليط الضوء على العملية التربوية ومدى فعاليتها ويقوم الباحث بدراسة مسحية: إما للجهاز القائم بالتدريس[1]، أو مسحا يتعلق بالطلاب[2]، أو يقوم بدراسة المناهج المدرسية المطبقة ومدى فعاليتها في مجال التعليم[3].

2-الدراسات المسحية للرأي العام

يعرف الرأي العام بأنه مجموع الآراء والأحكام السائدة في المجتمع، والتي تكتسب صبغة الاستقرار والتي تختلف في وضوحها ودلالتها، لكنها تكون صادرة عن اتفاق متبادل بين غالبيتهم، رغم اختلافهم في مدى ادراكهم لمفهومها، ومبلغ تحقيقها لنفعهم العام، ومصلحتهم المشتركة.

وتعتبر عملية مسح الرأي العام طريقة للتعرف على آراء الناس بشأن مسألة معينة في وقت معين، ويتعلق الأمر هنا بمسألة مفتوحة للجدل والنقاش.

وهذه الدراسة المسحية للرأي العام تستخدم بالضرورة أدوات البحث العلمي وخاصة المقابلات، والاستفتاءات كما أنها تختار عينة كبيرة العدد على أن تمثل وجهات نظر قطاعات متنوعة، معتمدة في ذلك على تنوع السن والديانات، والدرجة العلمية، والحالة العائلية، والمستوى الاجتماعي، والاقتصادي، وغيرها من المعايير المختلفة، وذلك من أجل أن عملية قياس الرأي العام عملية موضوعية وتقترب من الواقع، ومثال على ذلك: ما رأيك في إلغاء عقوبة الاعدام في التشريع الجزائري؟

4- المسح الاجتماعي

[1] - من خلال مجموعة من العناصر: نسبة المدرسين، الصفات الشخصية التي ينبغي أن تتوفر في المدارس، وعلاقتهما بفعالية التدريس، الحجم الساعي، مستوى أجور المدرسين وعلاقتهما بفعالية التدريس ... الخ.

[2] - من خلال العناصر التالية: رغبة الطلبة في مادة معينة، مدى استعدادهم لتلقي المعلومات، المستوى الاجتماعي للطلبة، المستوى الاقتصادي ومدى تأثير ذلك على عملية التعليم ....

[3] - وذلك من خلال أهداف هذه المناهج ومحتواها، وطرق وأساليب تدريسها.

يرتكز على الدراسة العلمية لظروف المجتمع وحاجاته بقصد الحصول على بيانات ومعلومات تتعلق بالظاهرة المدروسة والقيام بتحليلها وتفسيرها للوصول الى تعميمات بشأنها. من خلال ذلك نلاحظ أن الدراسة المسحية الاجتماعية تستهدف دراسة ظاهرة أو مشكلة اجتماعية (تعنى بدراسة مرض اجتماعي) أي مشكلة معينة في منطقة معينة من أجل الوصول لحلول بشأن الظاهرة المدروسة (ايجاد علاج للمشكلة)، ومثل ذلك دراسة ظاهرة الفقر في مجتمع معين، أو ظاهرة استهلاك المخدرات، البطالة، الجريمة ... الخ.

فالمسح الاجتماعي قد يعالج مشكلة مرضية في المجتمع، ويحاول الباحث أن يعالجها معالجة بحث وإصلاح، بمعنى محاولة النهوض بالأوضاع القائمة ووضع خطة أو برنامج للإصلاح. وقد يكون هذا المنهج شاملا لجميع أفراد المجتمع وهنا نكون أمام المسح الاجتماعي الشامل، وقد يكون لعدد محدود ونكون في هذه الحالة أمام المسح بطريقة معينة. إن فوائد المسح الاجتماعي يحقق فوائد كبيرة في مجال عمليات التخطيط لذلك ترتكز عليه السياسة العامة للدولة التي تستهدف تطوير الحياة الاجتماعية، والاقتصادية وتنميتها في فترة زمنية معينة بالإضافة الى ذلك فان المسح الاجتماعي يستفاد به في دراسة الخصائص السكانية والجوانب الاجتماعية، والاقتصادية لجماعة من الجماعات لذلك غالبا ما تقوم به (أي بحوث المسح الاجتماعي) هيئات رسمية في الدولة، كالمرصد الوطني لحقوق الانسان، وزارة التضامن، المجلس الوطني لحماية المرأة، الهيئة الوطنية لحماية الطفولة ... الخ.

ويعد أول من استخدمه في العلوم القانونية هو الباحث جون هوارد (1790 – 1776) حيث قام بمسح اجتماعي للوقوف على حالة المسجونين، وبدأ بجمع الحقائق والأرقام مباشرة من السجن والمسجونين وأحصى السجون، وسجل أعداد وأسماء المسجونين، وأماكن وتواريخ سجنهم وأحصى عدد المسجونين الذين لم يتمكنوا من مغادرة السجن لعدم قدرتهم على دفع رسوم الخروج، وقام بإحصاء شامل لأنواع الأمراض التي أصيبوا بها بسبب سوء التهوية، والرعاية الصحية السيئة أثناء وجودهم بالسجن ...الخ.

وتقدم جون هوارد ببحثه هذا الى المسؤولين في انجلترا ونوقش البحث في مجلس العموم البريطاني فصدرت تشريعات مختلفة ترمي لإصلاح حالة السجون في انجلترا نذكر منها:

- قانون يقضي بالإفراج الفوري عن المسجونين الذين تثبت براءتهم.
- فحص السجون فحصا منظما بواسطة قضاء التوفيق
- اصلاح النظام العقابي في هذا البلد.

ثانيا: منهج دراسة الحالة

1 – تعريف منهج دراسة الحالة

يعد أحد المناهج الوصفية التي تعنى بدراسة وحدة من وحدات المجتمع البحثي دراسة تفصيلية من مختلف جوانبها، من أجل الوصول الى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات.

يتميز بالتعمق في دراسة وحدة معينة (فرد، قبيلة، قرية، مؤسسة اجتماعية، مجتمع محلي أو مجتمعا عاما) وبالتالي العينة تكون صغيرة بالنظر للمجتمع البحثي على خلاف المسح الاجتماعي، وبالتالي التعميم هنا ليس مطلق.

يقوم على جمع البيانات المفصلة حول الوضع القائم للوحدة المدروسة وتاريخها.

وفي الأخير تحليل النتائج بهدف الوصول الى تعميمات على غيرها من الوحدات المشابهة في المجتمع الذي تنتمي اليه هذه الوحدة بشرط أن تكون الحالة ممثلة للمجتمع الذي يراد الحكم عليه، مثال: دراسة حالة طفل جانح للوقوف على أسباب انحرافه. ودراسة حالة مجرم تائب.

2 – خطواته:

- تحديد المشكلة واختيار الحالة.
- جمع البيانات لفهم الحالة (مع الاستعانة بأدوات البحث العلمي، وتعد المقابلة أهم أدوات البحث العلمي في دراسة الحالة، مستندات لمعرفة تاريخ الحالة، الاستبيان...)

- تحديد الفرضيات
- مسايرة الحالة للوصول الى مختلف التطورات، أي متابعة تطورات الحالة تاريخيا وحاليا وهذا ما يميز منهج دراسة الحالة عن منهج الدراسات المسحية.
- استخلاص النتائج المتعلقة بالحالة المدروسة ووضع التعميمات.

3 – استخدام منهج دراسة الحالة في العلوم القانونية

يطبق منهج دراسة الحالة في البحوث الاجتماعية، وفي علم النفس وباقي فروع العلوم الانسانية حسب طبيعة الموضوع المدروس ومشكلة البحث.

وفي العلوم القانونية فان أكثر تطبيقات منهج دراسة الحالة نجدها في العلوم الجنائية، فمثلا لمعرفة الدوافع الاجرامية يتوجب على الباحث التعمق في دراسة الحالة من أجل تفسير السلوك الاجرامي، خاصة مع تطور المذهل للظاهرة الاجرامية وظهور أنماط لم تكن معروفة في السابق.

وهذا يتطلب دراسات قانونية متخصصة ومعمقة وكل ذلك من أجل الوصول الى وضع تشريعات وقواعد تواجه هذه الظواهر الجديدة وهذا بصيغة الحالة بالإشراك مع الباحثين من مختلف التخصصات.

وفي الختام يمكن القول أن المنهج الوصفي يتميز عن المنهج التجريبي، في كون هذا الأخير يخضع فيه الباحث (المتغير) لتحكمه وفقا لخطة معينة أما المسح فيدرس المتغيرات في وصفها الطبيعي دون أي تدخل من قبل الباحث، وبذلك تكون دراسة السلوك تحت ظروف طبيعية، وليست اصطناعية كما هو الحال في التجريب.